إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثالثة –العدد الثانی عشر –شتاء ۱۳۹۲ش/كانون الأول ۲۰۱۳م
صص ۲۱۳ ـ ۱۹۷

التشاؤم فی شعر أبی‌العلاء المعری وعبدالرحمن شكری

هادی نظری منظم*
خاطرة أحمدی**

الملخص

التشاؤم حالة نفسية ذات أسـباب مختلفة كاليأس، وعجز الإنسان عن تحقق مطامحه وآماله، ومعاناة مشاكل نفسية وجسدية، وتردّية الأوضاع الاجتماعية والسياسية فی المجتمعات الإنسانية و... .

والتشـاؤم ظلّ وما يزال شائعاً بين الشعراء والأدباء فی مختلف العصور؛ فهناک علی سـبيل المثال أبوالعلاء المعرّی الذی اصطبغ شعره بالتشـاؤم بسبب الظروف المحيطة بحياتـه؛ وهناک أيضا عبدالرحمن شـكری فی العصر الحديث، الذی اتّجه فی شـعره نحو التشـاؤم متأثراً بالأوضاع الاجتماعية فی عصره، وبنزعته الرومانسية، ومزاجه الحزين، ونتيجةً لقراءاته فی شعر الشعراء المتشائمين كالمعری وابن الرومی والخيام. يحاول هذا المقال من خلال المنهج الوصفی– التحليلی أن يرصد مظاهر التشـاؤم فی شـعر أبی‌العلاء المعری وعبدالرحمن شكری، وأن يعالج المؤثّرات العامّة والخاصّة فی اتجاه الشاعرين نحو التشاؤم.

الكلمات الدليلية: الأدب العربی، أبوالعلاء المعری، عبدالرحمن شكری، التشاؤم.

---

*. أستاذ مساعد بجامعة تربيت مدرس فی طهران، إيران. hadi.nazari@modares.ac.ir
**. خريجة جامعة تربيت مدرس فی طهران، إيران.
التنقيح والمراجعة اللغوية: د. صلاح الدين عبدی
تاريخ الوصول: ۱۳۹۲/۳/۱۸ تاريخ القبول: ۱۳۹۲/۱۱/۹

المقدمة

يُعدّ الأدب أهمّ أشكال التعبير الإنسانى عن العواطف والخواطر الإنسانية، فهو: «فنّ يهدف إلى الإمتاع والتثقيف، بعيداً عن النفع المادّى الزائل؛ والأدب الحىّ هو الذى يعيد تصوير الحياة، لا كما هى، بل كما يراها الأديب.» (بطرس، ٢٠٠٥م: ٥) والشعر هو التعبير عن الأحاسيس والعواطف تعبيراً جميلاً يؤثّر فى النفوس: «ليس الشعر لغواً تهذى به القرائح؛ لو كان كذلک لمّا كان له هذا الشأن فى حياة الناس، الشعر حقيقة الحقائق ولبّ اللباب والجوهر الصميم من كلّ ما له ظاهر فى متناول الحواس والعقول، وهو ترجمان النفس والناقل الأمين عن لسانها، والألفاظ هى رموز بين الألسنة والآذان.» (شوشة، ١٩٨٥م: ١٦)

وقد واجه الإنسان على مرّ العصور الحياةَ وما فيها من خير وشرّ وأمل ويأس وفرح وألم، حيث نلاحظ أنّ «النفس البشرية مفطورة على حب الخير، وبغض الشر، ولذلک تجدها تفرح وتستبشر إذا ما سمعت ما يَسُرّها، وتحزن وتنفر إذا سمعت ما يسوؤها.» (السميرى، ٢٠٠٩م: ٢) فبرزت هذه المواجهة فى نزعتين أساسيتين تجاه الحياة: النزعة التشاؤمية والنزعة التفاؤلية، وهناک أحياناً توجد نزعة بين بين، لا تشاؤمية بحتة ولا تفاؤلية خالصة، لكن كلامنا هنا يدور حول التشاؤم، وهو صراع ذاتى أو حالة نفسية فى الإنسان، ينتج عن القلق والخوف تجاه الأزمات والأحداث، أو تجاه قضايا فكرية أو سياسية أو اجتماعية، فيصاب المرء بالسأم والاضطراب والتوتر. الإنسان المتشائم يفقد التوازن ويشعر بانعدام الأمن والأمان والفرح والسعادة.

التشاؤم ظلّ وما يزال شائعاً فى جميع الآداب وعند الشعوب بأسرها، لكن تختلف دواعى هذه الظاهرة ومظاهرها من عصر إلى آخر؛ فهو على سبيل المثال موجود فى العصر الجاهلى عند شعراء كطرفة بن العبد مثلا، وتصطبغ فلسفته «بصبغة اليأس لسرعة زوال الحياة والحرص على مطاردة الزمن الهارب باللّذات الممتعة، يؤيّد ذلک ألم من الحياة ومما ذاقه من قسوة قومه ومن تشرده وشقائه.» (الفاخورى، ١٣٧٣ش: ١٠٥) ثم ينتشر التشاؤم فى العصر العباسى ويتخذ ألوان ومظاهر عند البعض من أمثال ابن الرومى والمتنبى وأبى‌العلاء المعرى و... نظراً لأسباب خارجية وذاتية فيهم، كما

یستفیض فی العصر الحدیث ویظهرعند الکثیرین من أمثال نازک الملائکة، وبدر شاکر السیاب، وصلاح عبدالصبور وعبدالرحمن شکری وغیرهم من الشعراء والأدباء نتیجة لأمزجة الشعراء الحزینة وظروفهم الخاصة ولتأثرهم بالقضایا الاجتماعیة المأزومة وباتجاهات فلسفیة وأدبیة کالرومانسیة و... .

وهناک علاقة مباشرة بین الأزمات الاجتماعیة والسیاسیة والاقتصادیة وبین التشاؤم عند الشعراء. فالأدب، شعره ونثره، قد یکون صورة لما یجری فی المجتمع، والشاعر ذو شعورمرهف وإحساس عمیق وهو یتأثر بالأوضاع الاجتماعیة، کما نلاحظ فی العصر العباسی والعصر الحدیث، حیث اصطبغ الأدب فی بعض الأحیان بالحزن والتشاؤم، وبخاصة عند الشاعر والأدیب العباسی الشهیر أبی‌العلاء المعری وعند الشاعر المصری الحدیث عبدالرحمن شکری. یقول شوقی ضیف: «قد یصطبغ شعر شاعر بصبغة خاصة کالتفاؤل أو التشاؤم، والتشاؤم ینتج عن ظروف الشاعر الخاصة وتفکّراته الحزینة. ومن الذین اشتهروا فی الأدب العربی بالتشاؤم أبوالعلاء المعری "من الأدب القدیم" وعبدالرحمن شکری "فی الأدب الحدیث".» (ضیف، ۱۹۵۹م: ۱۱۱)

وإلی جانب العوامل الاجتماعیة والسیاسیة نلاحظ أسباباً أخری کالعاهات الجسدیة (العمَی، العَرج و...) والهواجس النفسیة کالتفکر والتأمل فی الموت والفناء والزوال، والفقر والمنزلة الاجتماعیة المتردّیة للأدیب وغیره. والإنسان کائن یتفکر ویتأمل، ویسوقه تفکّره نحو ألوان من الحزن والأسی وضروب من الیأس والقنوط وبالتالی التشاؤم؛ وهو بالتالی یبثّ أحاسیسه وعواطفه فی الشعر والأدب ویشکو المصائب والأزمات والآلام بوساطة اللغة.

وهذا المقال باعتماد المنهج الوصفی- التحلیلی یحاول الإجابة عن الأسئلة التالیة:

۱. ما هو التشاؤم؟
۲. ما هی دواعی التشاؤم وتداعیاته فی حیاة المعری وشکری؟
۳. ما هی أهمّ مظاهر التشاؤم فی شعر الشاعرین؟

التشاؤم[1] لغةً واصطلاحاً

التشاؤم لغة من مادة شأم، والشؤم: خلاف اليُمن، وشأم الرجل قومه، أى جرّ عليهم الشؤم فهو شائم، والمتشائم: المتطيّر، من كان سيئ الظنّ بالحياة. أنشد سيبويه للأحوص:

«مَشائيمُ ليسوا مُصلحين عشيرة ولا ناعب إلّا بشؤم غرابها»

(ابن منظور، ۲۰۰۳م: ذيل شأم)

وفى قاموس المحيط: التشاؤم: التطير، والمتشائم: من يسئ الظن بالحياة، والشؤم يعنى الشر، وشأمهم شؤماً: جرّعليهم الشؤم. وفى التنزيل العزيز قال تعالى: «هُم أَصحابُ المَشئَمَةِ.» (الفيروزآبادى، لاتا: ٥٧٤/٤)

والتشاؤم اصطلاحاً: «استعداد شخصى أو سمة كامنة داخل الفرد تؤدى به إلى التوقع السلبى للأحداث.» (اليجوفى والأنصارى، ۲۰۰۵م: ۲۱۳) كما يعرّفه سليكمان "Seligman" بأنَّه «إدراك الفرد للأشياء والظواهر من حوله بطريقة سلبية؛ فالفرد المتشائم يرى الفشل بأنَّه مأساة لا يمكن الخروج منها. وهو عادة لا يستطيع وضع حلول ناجعة لمشاكله اليومية، مما يجعله دائم السؤال وفى حالة من التردد والشك.» (Seligman, 1994: 18)

خلفية البحث

قد كثرت الدراسات الأدبية والنقدية التى تناولت أباالعلاء المعرى وعبدالرحمن شكرى، منها: شوقى ضيف (۲۰۰۳م) فى كتاب دراسات فى الشعر العربى المعاصر يتناول التشاؤم لدى شكرى بطريقة مختصرة ناقدة، والحق أنّه كتب كثيراً حول شكرى وتشاؤمه.

أحمد غراب (۲۰۰۷م) فى كتاب تحت عنوان عبدالرحمن شكرى. وفيه تناول الشاعر من جوانب عديدة، أحدها الجانب النفسى، ويعالج التشاؤم، والمرأة والموت فى شعره.

أنس داود (۲۰۰۷م) فى كتاب عبدالرحمن شكرى ونظرات فى شعره. والكتاب يتناول أهمّ القضايا فى حياة شكرى، ويتكلم عن خمس قصائد للشاعر.

---

1. pessimism.

ثریا بنت بشیر بن محمد الکعکی (۲۰۰۹م) فی رسالة باسم التشاؤم عند عبدالرحمن شکری، فالکاتبة تدرس وتنقد التشاؤم عند شکری وتعتقد بأنّ التشاؤم عنده لیس بمثابة مرض نفسی یعانی الإنسان منه، ولکنَّ للعوامل السیاسیة والاجتماعیة والدینیة أثر کبیر فی بروز هذه الحالة عند شکری.

حسین جمعة (۲۰۱۱م) فی رسالة باسم الاغتراب فی حیاة المعری، یتطرق فیها إلی مفهوم الاغتراب ویعرفه بأنّه هو التجاذب النفسی بین الرضا والرفض، بین الحریة والقهر، بین الانفتاح والانغلاق، وبین الرجاء والإحباط، ویری أنّ الغربة هی التی یفقد الإنسان حریته واستقلاله الذاتی بتأثیرالأسباب الاقتصادیة والاجتماعیة والدینیة و...، ثم یقوم بذکر الألفاظ الدالة علی الاغتراب فی الفصول والغایات وسائر مصنفات المعری الشعریة والنثریة.

وهناک فی الأدب الفارسی:

نرجس قندیل‌زاده (۱۳۸۰) فی رسالة بعنوان: مرگ وزندگی در اشعار أبی‌العلاء المعری "الموت والحیاة فی أشعار أبی العلاء المعری": تتحدث الرسالة عن حیاة المعری وأسباب تشاؤمه، ثمّ تقوم بدراسة بعض أشعاره.

وإنسیة خزعلی (۱۳۸۵) فی مقال بعنوان: "الخیام والمعری بین التشاؤم والتفاؤل" والمقال مقارنة بین الخیام والمعری وفیه حدیث عن التشاؤم المطلق والنسبی فی حیاة الشاعرین؛ وتری الباحثة أنّ الأمر یتجاوز دائرة الإنصاف إذا أطلقنا مصطلح المتشائم علی شاعر، بل الأحری أن نسمّی بعض الأشعار، أشعار الشکوی والنقمة علی الوجود بدل التشاؤم.

ولیلا امینی لاری وسید فضلالله میرقادری (۱۳۸۸) فی مقالة باسم "بررسی تطبیقی افکار و عقاید أبوالعلاء وخیام" (دراسة مقارنة فی أفکار وآراء أبی‌العلاء والخیام).

ومحمد خاقانی وآخرون (۱۳۸۹) فی مقالة بعنوان "جبر واختیار در جهان‌بینی حافظ و معری" (الجبر والاختیار فی رؤیة حافظ والمعری) یدرس الباحثون الجبر والاختیار عند المعری وحافظ ویشیرون إلی اهتمام الشاعرین بهاتین القضیتین

ويعتبرون الجبر أحد أسباب التشاؤم عند المعرى.

وجميل جعفرى وشـرافت كريمى (١٣٨٩) فى مقالة تحت عنوان: "عبدالرحمن شكرى ورباعيات خيام". يعتقد الباحثان أنّ ثمة علاقة بين أفكار خيام وعبد الرحمن شـكرى، ومن ثمّ يشيران إلى أنّ شكرى قام بترجمة عدة رباعيات من خيام وتأثر بهذه الأبيات، كما يعتقد أنّ لأشعار خيام دوراً فى تعرف شكرى على آداب الشعوب الأخرى.

تجدر الإشارة أنّ الباحثين المذكورين تحدثا فى الأغلب عن المعرى وشكرى بصورة عامة؛ ونظراً لعدم وجود دراسـة سـابقة توازن بين المعرى وشـكرى فى اتجاههما نحو التشاؤم نرى أنّ هذا المقال يحوى فى طياته أشياء جديدة ومفيدة.

التشاؤم ودواعيه عند المعرى

«كان المعرى ذا خلق ذميم، قصير القامة، نحيف الجسـم، واسع الجبهة، مشوّه الوجه بآثار الجُدرى والعمى، غير أنّ ذلک الثوب الرثّ كان يحوى نفساً كبيرة.» (الفاخورى، ١٣٧٧ش: ٦٨٣) «وكان منـذ حداثته يسـيء الظن بالناس، لا ينظر إليهم نظرة الرضى والطمأنينـة، ويميـل إلى الانقباض عنهم؛ وحُبّبت إليه العزلـة.» (الحلبى، ٢٠٠٧م: ١٧) «وهو لما رجع إلى المعرة لزم بيته، فلم يخرج منه وسمّى نفسه رهين المحبسين، يعنى حبس نفسـه فى المنزل وترک الخروج عنه، وحبسـه عن النظر إلى الدنيا بالعمى.» (الحموى، ١٩٨٠م: ١٢٤) كانت حياة المعرى كلها مجاهدة وشـقاء ومعاناة وكانت تأملا فى الحياة والموت.

لتشـاؤم المعرى عدة دواعٍ، منها أنّه كان يعانى مـن فقد بصره؛ فقد «أصيب المعرى بالجُدرى بعد أربعة أعوام من مولده فذهب بصره، ولم يعرف من الألوان إلّا اللون الأحمر وهو لون الثوب الذى لبسه يوم أصابه الداء.» (أيوب، ١٩٩٠م: ٢٠٣) وغنى عن الشرح أنَّ هذا العامل الرئيس جعله كبير التشاؤم. يضاف إلى ذلک موت والديه وفقره الشديد. وقد ملأ أبوالعلاء كتابه اللزوميات بهذا التشـاؤم الواسع من الدنيا ووصف الحياة بأنّها دار الآلام والعـذاب وقد يسـتعرض الحياة مـن جميع جوانبها وينقدها نقدا سـاخرا فـى جرأة وصراحة. يضاف إلى ذلک أنّه عاش فى زمن مليء بالفسـاد بكلّ أشـكاله

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ فالعصر العباسی «ينقسم من حيث السياسة إلى قسمين:عصر القوّة وعصر الضعف، وكان أبوالعلاء يعيش فی عصر الضعف والفساد.» (حسين،۱۹۵۱م: ۳۵-۷۷) كان المعری يرى أنّ حياة الإنسان كلّها بيد القدر وهو المسيطر على كلّ شئ ولا يستطيع الإنسان الخلاص منها وهو سيموت لا محالة، كما مات من سبقه. كلّ هذه العوامل جعلت الشاعر متشائماً شديد التشاؤم بحيث لا يرى فی الحياة أیّ تفاؤل وهو ما زال يدافع عن تشاؤمه كما يقول طه حسين: «كنت أحدث أباالعلاء بأنّ تشاؤمه لا مصدر له فی حقيقة الأمر إلّا العجز عن ذوق الحياة والقصور عن الشعور بما يمكن أن يكون فيها من جمال وبهجة ومن نعيم ولذّة ويقول أبوالعلاء إنّک ترضی عمّا لا تعرف وتعجب بما لا ترى.» (حسين، ۱۹۷۳م: ۱۳-۱٤)

التشاؤم ودواعيه عند شكرى

قد تحدث الكثير عن التشاؤم لدى عبدالرحمن شكرى وأنَّ شعره توشّح بالثوب الأسود. يقول شوقی ضيف: «لعل مصر لم تعرف فی عصورها المختلفة شاعراً متشائماً ضاق بكل ما حوله حتى بنفسه كما عرفت فی عبدالرحمن شكرى، وقد نشر سبعة دواوين بدأ بأولها، وانتهى بآخرها (۱۹۱۹م)، وكلها تصور لنا قصة سوداء من التشاؤم الحزين الممرض.» (ضيف، لاتا: ۱۰۹)

ومن دواعی التشاؤم عند الشاعر: «إحساس يقوده التفكير، الخيال الخصب، أوضاع الأمة، الرومانسية وتأثر شكرى بها، الإخفاق فی تحقيق الأهداف والوصول إلى الآمال.» (الكعكی، ۲۰۰۹م: ٦٦)

إنّ شكرى يسعى للسعادة وبلوغ الآمال، لكنَّه حين يطلب تحققها لا يرضى، بل يطلب دائماً المزيد، ولعدم تحقق المراد تذوب لذة السعادة، فيشعر باليأس، فتضطرب حياته، كما أنَّه عاش فی «عصر حافل بالاضطرابات والأحداث الكبرى فی تاريخ مصر والعالم وخاصة المدة ما بين الحربين العالميتين التی اصطلى بنارهما، كما عانت مصر كثيراً من ويلاتها وما نتج عنها من آثار سيئة اجتماعية وثقافية فی تاريخنا الحديث.» (الشطی، ۱۹۹٤م: ۱۷۵) والحق أنَّ شكرى «قد عاش فی فترة قلقة من حياة

مصـــر، اختلّطت فى أثنائها الآراء والمذاهب السياســـية وشـــاعت خلالها روح التمزّق الاجتماعى.» (عيد، ٢٠٠٣م :١١١) وكانت مصر فى هذه المرحلة السوداوية من حياتها «ترى قهر الاســـتعمار وقيوده وأغلاله على نفســـها، وكانت لمصر ظروف سيئة فى ذاك الزمان. يقرّر شـــكرى فى فصل مـــن اعترافاته بأنَّه قد طغت موجـــات اليأس طغيانا جارفا فى تلك الأيّام الســـود، أيّام الاحتلال على جميع الشـــباب وجميع النفوس، وهو طغيان قد فلّ العزائم وثبّط الهمم وأمات الآمال والقلوب، فلم يعد الشـــباب يستطيعون الإقدام والعزم الصادق والهمّ البعيد، بل أصبحوا فريســـة الإحجام والتردد والخنوع.» (ضيف، ١٩٥٩م: ١١٢)

وقد كان شكرى من أعلام المدرســـة الرومانسية فى الأدب العربى. ومن خصائص هذه المدرسة: «غلبة الكآبة ومشـــاعر الحزن والصراع النفسى الدرامى وشيوع نغمات البكاء واليأس والانفصال عن المجتمع والشعور بهشاشة الحياة ودنوّ شبح الموت، لكنه الموت الحنـــون المخلّص لا الموت المخيف.» (الأصفـــر، ١٩٩٩م: ٤٩) وقد كان الأدباء الرومانسيون «يحلمون بتحقيق العالم الوردى ويتحسّرون أسفاً على تلك الأيّام الخوالى التى يعيش فيها البشر سعداء فى براءة بغير حزن ولا محن.» (الشاذلى، ٢٠٠٦م: ٦٥)

وربّما كان لأحداث طفولته أعظم الأثر فى نفســـه الكئيبة؛ فقد «كانت طفولته مهددة بعدم الكفاية والسعادة وعدم الأمان، كما شاهد أنَّ أسرته يعانون المرارة ويحملون الهم، ووعى ما وعى من تشـــرد والده وســـجنه، فكانت صدمة لم تغب عن ذاكرته.» (يوسف، لاتا: ٢)

وبالمناسبة نرى لزاماً علينا أن نذكر تأثر جماعة الديوان ومن بينهم شكرى بالشاعر والمفكر الإيرانى الشهير عمر الخيام. يتحدث يوسف بكار عن ذلك بقوله: «عبدالرحمن شـــكرى أقل زميليه "المازنى والعقاد" اهتماماً بالخيام والرباعيات، ســـواء من حيث ما كَتـــب عنه أو ما تَرجم مـــن الرباعيات وكتب عنها. فأمّا من حيـــث الكتابة عن الخيام والرباعيات، فلم أجد له سوى مقال عنوانه "جميل صدقى الزهاوى" نشره فى المقطم.» (١٠ آذار، ١٠٣٦: ١١) «وهـــو يوازن فى هذه الســـطور القليلة بـــين الزهاوى والخيام موازنة تنمّ عن أنَّه قرأ شـــعريهما. ولست أرتاب فى أنَّه كتب المقال بعد أن ترجم ثلاث

رباعیات فقط عن ترجمة فیتزجرالد نشـرها أول مرة فی دیوانه الثانی "لآلی الأفکار" عام (۱۹۱۳م).» (بکار، ۲۰۰٤م: ۸۹)

«فالمتأمل فی شـعر شـکری یلاحظ بوارق من آراء الخیام ورؤیته تجاه الحیاة فی دیوانه، وهذا یدلّ علی أنَّه قد تأثر بالخیام.» (جعفری وآخرون، ۱۳۸۹ش: ٤۷)

مظاهر التشاؤم عند الشاعرین

۱. الموت

۱-۱. الموت عند المعری

کثـیراً ما یتطرق المعری فی أشـعاره إلـی ظاهرة الموت. وکان المعـری ذا عاطفة شـدیدة، فتأثر بموت أمّه تأثّراً لا یوصف وأنشـد فی موتها أشعاراً حزینة، لأنَّه کان فی الطریق إلیها ولکنَّها ماتت دون أن یلتقیا:

«مضت وقداکتهلت،فخِلتُ أنِّی رضیعٌ مـا بلغتُ مدَی الفِطام
سألتُ متی اللقاءُ فقیل حتّی یقوم الهامـدون من الرِجام»

(المعری، ۱٤۱۰ق: ۱۸٦)

ثم جاءته الأیّام بنعی أبیه وتکهّن الشـاعر بحسّـه أنَّ فی جعبة الأیام سهاما أخری ستصیب قلبها:

«لقد مَسَخت قلبی وفاتُک طائرا فأقسم ألّا یستقرّ علی وَکن»

(المصدر نفسه: ۳۱۱)

وعندما توفی أبوه نفذت الطعنة إلی صمیم کیانه وفقد هذا الشاب الضریر أبا رحیماً وفقد الصبر والاحتمال:

«کأنّ دعاءَ الموت باسمک نَکزةٌ فَرَت کَبدی والسُمُّ یَنفُذُ فی أُذنی»

(المصدر نفسه: ۸۵)

لا یـری المعری فـی الحیاة أقوی من الموت، فهو القوّی الذی لا یُغلَب. والإنسـان شـدید التعلـق بالحیاة، وطول العمـر، والمعری یری فی هذه الرغبـة حمقاً کبیراً. یقول المعری:

«ومن يكن يومَ الوَغَى باسلاً فالمـوتُ فـى حَملته أبسَـلُ
وجُرعـةُ الذيفـان مشـروبةٌ وغيرُها المستعذَبُ السَلسَل»

(المعرى، ١٩٨٨م: ٥٢٣)

وفى رأى المعرى أنَّ العاقل يرجّح الموت المريح على عناء الحياة، ويسـتعد لساعة الرحيل ويرحّب بملک الموت:

«أهلاً بغائلة الـردَى وإيّابها كيما تُسـترّنى بفضـل ثيابها
دنياک دارٌ إن يكن شُـهّادها عقلاءَ لا يَبكوا على غُيّابها»

(المصدر نفسه: ٢٠٢)

١-٢. الموت عند شكرى

فى ديوان شـكرى نـرى كثيراً من الأبيات تدور حول المـوت؛ فهو يرحّب بالموت والمـوت عنده «مهرب من آلام الحياة، وملاذ من متاعبها وأهوالها، وهو دائم الجمع فى غزله بين فكرة الحب وفكرة الموت.» (أدهم، لاتا: ١٩) يقول شـكرى فى تفضيل الموت على الحياة:

«كلُّ ما كان عزيزًا فهو للنفـس تَعلّةٌ
ومَمـاتُ المَرءِ رُزءٌ وحياةُ المَرء ذِلّة»

(شكرى، ١٩٥٨م: ١٠٥)

كما أنَّه لا يحبّ الحياة بين أعدائه ويرجّح الموت على مثل هذه الحياة:

«ألم يكفِ الحوادثَ أنَّ عَينى تُريقُ القلبَ فى ماء البُكاء؟
حَياتى بـينَ أعدائـى مَماتٌ ومَوتـى بين أحبابـى حياةٌ»

(المصدر نفسه: ١١٩)

إنَّ شـكرى حزين بسبب الظروف السيئة المسيطرة على حياته؛ ومن ثم يحبّ الموت ويعتبره أروح من الحياة:

إذا كان فى موت الفتَى راحةٌ له فأيُّ رَجاءٍ فى الحياة يُريدُه؟
عَجبتُ لهـذا الدهر إمَّا يَغُرُّنا ببعض المُنَى حتّى يُرجَّى حَميدُه

فهو یفضّل الموت ویعتبره الأمن والخلد المرغوب فیهما:

«هل العَیشُ إلّا ساعةٌ ثمّ یَنقَضِی هل الدهرُ إلّا أشهُرٌ وعُصورُ؟
وما الموتُ إلّا الأمنُ والخُلدُ صِنوُهُ ألا إنّ فقــدانَ الحیاة حُبورُ»

(المصدر نفسه: ۳٤۰)

ویری أنَّ الطریق الوحید للخلاص من هذا العناء هو الموت:

«إنِّی وَلِعتُ بعیشٍ کلُّه خُدَعٌ کما بَرِمــتُ بعیشٍ غیرِ مُقنَبل
ما من مُجیر علی هذا المَلال سِوَی موتٍ یُبَعِّدُ بین النَفس والعِلَل»

(المصدر نفسه: ٦۷۸)

۲. الشکوی من الزمان

۲-۱. الشکوی من الزمان عند المعری

یذمّ المعری الدنیا ویشتکی منها ویکرهها ویری أنَّ الدنیا لیست معتدلة فی تصرفاتها، بل إنَّها تتصرف عادة بالإفراط أو التفریط، ویقول لو کانت الدنیا عریســاً لطلّقتُها، لکنَّه لا بدَّ لها من العیش فی هذه الدنیا الدنیة:

«یــا أمّ دفــرٍ، لَحــاک الله والدةً منک الإضاعةُ والتفریطُ والسّرَفُ
لو أنَّکِ العرسُ أوقعتُ الطلاقَ بها لکنَّک الأمُّ هل لی عنکِ منصرَفُ؟»

(المعری، ۱۹۸۸م: ۱٤۸)

ویری المعری أنَّ الدنیا لا خیر فیها وأنَّ الدهر کالبحر یغرق فیه الناس وأخبارهم:

«مَن ادّعَی الخیرَ مِن قوم، فَهُم کُذُبُ لا خیرَ فــی هذه الدنیــا ولا خِیَر
وسِــیرةُ الدهر مــا تَنفــکُّ مُعجبةً کالبحر، تَغرَقُ فی ضَحضاحِها السِیَرُ»

(المصدر نفسه: ٥۷۸)

کما یری أنَّ الحیاة شرّ والاعتقاد بالخیر فیها وفی أهلها ضرب من الوهم:

«توهّمتُ خیراً فی الزمان وأهلِه وکان خَیالــاً لایَصِــحُّ التَوهُّمُ»

(المصدر نفسه: ۱۳۷۸)

والمعــری یــری أنَّ مصائب الدنیا کثیرة، بــل الحیاة کلّها مصائــب ولا یمکن للمرء

التخلّص منها، وأهون هذه المصائب عند الإنسان الفطن، الموتُ:

«مَصائــبُ هــذه الدنيا كثيرٌ وأيسَرُها على الفَطن الحِمامُ
مُصــابٌ لا تنزّه عنــه نفسٌ ولا يَقضــى بمدفعــه الزِمامُ»

(المصدر نفسه: ١٤٠٣)

٢-٢. الشكوى من الزمان عند شكرى

يصرخ شــكرى ويشتكى من الزمن، إذ إنَّه لا يستطيع الوصول إلى طموحاته؛ ومن ثمّ فهــو حزيــن ودموعه تجرى دائماً وقد أصابه الهرم، مع أنَّه شــاب، ومن هنا يميل إلى الموت ويرجّحه على الحياة المليئة بالآلام:

كفــى حزنــاً إنَّ التطلُّــب بالصبر وإنَّ مآقــى العَــين أدمُعُهــا تَجرى
«لقــد لَفَظَتنــى رحمــةُ الله يافعــاً فصرتُ كأنِّى فى الثَمانين من عُمرى»

(شكرى، ١٩٥٨م: ٨٥)

وهو يرى أنَّ الزمن ســبب حزنه ويأســه وعدم وصوله إلى آماله وأحلامه؛ ومن هنا لا يستطيع أن يثنى على الدهر ويحمده:

«كيف أُثنِى على الزمان إذا كا ن ارتقابُ الآمال من عَزَماتى»

(المصدر نفسه: ٧١)

وهو يشــكو من مرارة العيش وإيقاعه الموجِع، وفيها جماعــة تقدّمته، رغم أنَّه كان يفوقها ذكاءً وكفاءة:

«حياةٌ كَدَمع العَين أمّا مذاقُها فمُــرٌّ وأمّــا وَقعُهــا فوَجيــعُ
تَقَدَّمَنى فى الناس مَن لم يُجارِنى وأخَّرنــى أنَّ الــذكاءَ يَروعُ»

(المصدر نفسه: ٤٥٤)

٣. الغربة

٣-١. الغربة عند المعرى

والغربة من دوافع الحزن والتشاؤم عند الأدباء، ومنهم المعرى؛ يشتكى الشاعر منها

وهو فی موطنه:

«متــی ما یأتنی أجلی بأرضی فنــاد علــی الجنــازة للغریب
أُکاشــرُ مَن لقیتُ، علی حذارٍ ولیس علی اعتقادی من عَریب»

(المصدر نفسه: ۱۸۲)

۳-۲. الغربة عند شکری

یعانی الشاعر، الغربة والوحشة، وکثرة الهموم والأتراح:

«فقضَی عیشَه غریباً عن الأه لِ قلیلَ العَــزاءِ جَمَّ الهُموم»

(شکری، ۱۹۵۸م: ۱۸۵)

٤. الیأس

٤-۱. الیأس عند المعری

إنَّ المعری یائس خائب، ولا یرجو خیراً فی الحیاة:

«من ادعی الخَیر من قوم فهم کُذُب لا خَیر فی هذه الدنیا ولا خِیرُ»

(المعری، ۱۹۸۸م: ۵۷۸)

وهو یتردد أحیاناً بین الیأس والأمل ولکنه لا یری کبیر قیمة فیهما:

«فــلا تیأســنّ للیــلٍ دَجَــا ولا تفرَحَــنّ بفجــرٍ سَــطَع
ولا تَحفِلَــن أ للســیّب أم مع الســیف قُدّم ذاک النّطع»

(المصدر نفسه: ١٤٤)

٤-۲. الیأس عند شکری

شکری یائس خائب هو الآخر، وهو مشتغل بالأحداث الألیمة عن الحب:

«وکیف یکون الحبُّ عنّی راضیا وقلبی عنه بالحوادث مَشغولُ؟!
ولا راحة فی العیش ما دُمتُ هکذا یُنَغّصُنی فی العیش یأسٌ وتأمیلُ»

(شکری، ۱۹۵۸م: ۹٤)

وهو یری أنَّ الحیاة ملیئة بالأخطار ولا داعی فیها للتفاؤل:

«قنوع اليأس يَجحدنى رجائى وهَـمُّ النفس داعيـةُ الرَخاءِ
وقدغَلَبت صُروفُ الدهر حَزمى فجالـدتُ المصائبَ بالنجاء»

(المصدر نفسه: ٩١)

وهو يشعر بالحسرة والحزن وغير مهيأ لأسباب الفرح والنشاط لبعده عن حبيبه:

«أ عِيدٌ وقلبى من رِضاك بعيدٌ فيا عجباً للدهر كيف يَكيدُ؟!
ولكنَّ فى العيد شَجواً وحَسرةً وإنِّـى لِمَـن يَلتذّه لَحَسـودُ»

(المصدر نفسه: ٢٥٣)

يعتقد الشاعر بأنَّ الحياة تدفع الإنسان إلى الأمل، فلا ينفعه الأمل، وتدفعه إلى اليأس فييأس وهو يرى نِعَمَ الدنيا مزيجةً بالحزن والأسى والإنسانَ متردداً بين هاتين العاطفتين:

قال داعِى الهَـمّ قولاً صادقاً إنَّمـا نحـن عَبيـدٌ للمُنَـى
عَجبـاً للدهـر فـى أحكامِه يَجلِبُ النعمةَ فى داعِى الأسَى

كما يستنتج أنَّ الإنسان خُلق لكى يُصاب بالشقاء واليأس وهذه هى سنة الحياة:

«خُلقَ الإنسانُ كى يَشقَى بها يَبتغِى فى نَيله بُرءَ الشَـقاء»

(المصدر نفسه: ١٧٥)

٥. القضاء والقدر

٥-١. القضاء والقدر عند المعرى

إنَّ المعرى كان يعتقد بالقضاء والقدر ويعتبر النحس والسـعد مقدرين على الإنسان ويقـول بأنَّ النحوس أكثر من السـعود، كما يؤكِّد علـى أنَّ الحياة كلّها نحس ولا يوجد فيها مثقال ذرة من خير:

«وإن يكُ فى الدنيا سُعودٌ فإنّما تكون قليلاً كالشُذوذ الشَوارِدِ»

(المعرى، ١٩٨٨م: ٨٧)

ويرى أنَّ العلم لا يُبعد العالمَ عن الموت، بينما قد يسلَم الجاهل منه أحياناً:

«كم سَـلِمَ الجَهولُ من المَنايا وعُوجلَ بالحِمام الفيلسوفُ»

(المصدر نفسه: ٦٢)

یعتقد المعری بأنَّ أمورنا برمّتها فی ید القضاء والقدر ونحن لسنا بمخیَّرین، ولا یوجد فی حیاتنا السلام والأمن إلّا وهو مقترن بالشّر والفساد، والدنیا عنده ملیئة بالفساد، ومن ثمّ یأتی بالأدلّة علی صحة الجبر:

«أرَی شَواهدَ جَبرٍ لا أحقّقه کأنَّ کلّاً الی ما ساء مَجرورُ
وعالَمٌ فیه أضدادٌ مقابلةٌ غِنیً وفقرٌ ومَکروبٌ ومَقرور»

(المصدر نفسه: ۵۸۵)

والإنسان لم یکن مختاراً فی ولادته ولا فی موته، فکیف یکون مختاراً بعد ذلک؟!

«ما باختیاریَ میلادی ولا هَرَمی ولا حیاتی فهل لی بَعدُ تَخییرُ؟»

(المصدر نفسه: ۵۸۸)

۵-۲. القضاء والقدر عند شکری

یری شکری أنَّه مضطر للعیش ولیست الحیاة باختیاره، ولهذا یفضّل الموت علی الحیاة:

«لیتنی مِتُّ قبل أن أنکر العَی شَ ولکننی فَقَدتُ الخِیارا
أنا فی ذمّة الزمان ولکن لا أُسیغُ الحیاةَ إلّا اضطراراً»

(شکری، ۱۹۵۸م: ۹۵)

النتیجة

ینشأ تشاؤم الشاعرین المعری وشکری عن عدّة عوامل، منها: تردیة الأوضاع الاجتماعیة والسیاسیة، والمشاکل النفسیة. وکان المعری یعانی أیضاً بعض العاهات الجسدیة کالعمی، کما کان شکری ذا نزعة رومانسیة، یغلب علیه الحزن والأسی والقلق والتشاؤم و.. . وهناک أیضاً عواطف الشاعرین المشبوبة، وحساسیتهم المفرطة، کما أنَّ الشعور بالألم ترک فی نفس المعری وشکری أثراً أعمق وأشدّ مما یترکه فی نفوس الناس العادیین. ولاشّک أنَّ ظروف الشاعرین الخارجیة سوّغت هذا الحزن الأسود القاتم الذی شاع فی أدبهما، غیر أنَّه تجدر الإشارة إلی أنَّ التشاؤم الموجود فی أدب الشاعرین لا ینشأ عن الظروف الخارجیة فحسب، وإنَّما یعود أیضا لمزاجهما الحزین

وتفكرهما العميق فى قضايا أساسية كالموت والحياة والجبر والاختيار و...، الأمر الذى زاد الشاعرين تشاؤماً وانطواء على النفس، وجعلهما عزوفين عن الناس، غير راغبين فى معاشرتهم ومخالطتهم.

وقد تنوعت مظاهر التشـاؤم عند الشاعرين، من خوف يرقبهما فى كل شئ ولحظة، وسـوء ظن بالناس وحتى بالنفس، وحب للمـوت وتفضيله على الحياة، والحديث عن خبث الحياة وغدرهـا وعدم جدواها واعتزال للحياة وانقطـاع عن ملذاتها، واعتقاد بالقضاء والقدر، والشكوى من الزمن والتبرم بالحياة.

ويمكن القول بأنَّ لتشاؤم المعرى فى اتجاهين: اتجاه نفسى واتجاه اجتماعى، والاتجاه النفسـى يتمثل فى إصابته بالعمى منذ طفولته، فموت والديه، ثم معاناته الفقر الشـديد، وحبسه لنفسه فى البيت واعتزاله عن الناس. ومن المنطلق الاجتماعى عاش المعرى فى عصر كانت الحياة فيه مضطربة أشدّ اضطراب، وقد انعكس تردّية الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى شعره.

أما التشـاؤم عند شـكرى فهو فى الأكثر ذو اتجاه اجتماعى؛ فهو يشكو من الفساد السياسـى والاجتماعى والاقتصادى السـائد وقد يشكو من جفاء الأصدقاء وغدرهم وخداعهـم، فقد كانوا بالأمس أصدقاءه المقربـين ولكنَّهم الآن قد انقلبوا عليه وتغيروا نحو الأسـوأ. أضف إلى ذلک كله مزاجه الحزين وتأثره بالمدرسـة الرومانسـية الغربية وببعض أدباء العرب المتشائمين من أمثال المعرى هذا وابن الرومى و...، وقراءاته أيضا فى الشعرالخيامى فى ترجمته الإنكليزية و... .

المصادر والمراجع

ابن‌منظور، أبوالفضل. (۲۰۰۳م). لسان العرب. بيروت: دارصادر.

الأصفر، عبدالرزاق. (۱۹۹۹م). المذاهب الأدبية لدى الغرب. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

أدهـم، على. لاتا. «الأسـتاذ عبدالرحمن شـكرى، لمحات عن حياته ونظرات فى شـعره». مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى. صص ۱۳- ۲۷.

أيوب، عبدالرزاق. (۱۹۹۰م). انعكاس الفكر السياسـى على الأدب العربى فى العصرالعباسـى. لامک: دار الطلاس.

بطرس، أنطونیوس. (۲۰۰۵م). الأدب: تعریفه، أنواعه، مذاهبه. بیروت: المؤسسة الحدیثة للکتاب.
بکار، یوسف. (۲۰۰٤م). جماعة الدیوان وعمر الخیام. بیروت: المؤسسة العربیة للدراسات والنشر.
حسین، طه. (۱۹۷۳م). مع أبی‌العلاء فی سجنه. القاهرة: دارالمعارف.
ـــــ (۱۹۵۱م). تجدید ذکری أبی‌العلاء. الطبعة الرابعة. القاهره: دارالمعارف.
الحلبـــی، ابن العدیم. (۲۰۰۷م). الإنصاف والتحری فی دفع الظلم والتّجری عن أبی‌العلاء. الطبعة الأولی. دمشق: دار الجولان للطباعة.
الســـمیری، جابر والطرطور، عبیر سلیمان محسن. (۲۰۰۹م). التطیر مفهومه وآثاره وسبل علاجه. لامک: لانا.
الشاذلی، عبدالســـلام. (۲۰۰٦م). تجربة المدینة فی الشعر العربی المعاصر. القاهرة: الهیئة المصریة العامة للکتاب.
الشطی، عبد الفتاح. (۱۹۹٤م). عبد الرحمن شکری شاعراً. القاهرة: الهیئة المصریة للکتاب.
شـــکری، عبدالرحمن. (۱۹۵۸م). دیوان شـــکری. جمعه وحققه نقولا یوسف ومحمد رجب البیومی. لامک: لانا.
الکعکی. ثریا. (۲۰۰۹م). التشـــاؤم عند عبدالرحمن شکری. رسالة لنیل درجة الماجستیر. جامعة أم القری.
ضیف، شوقی. (۱۹۵۹م). دراسات فی الشعر العربی المعاصر. الطبعة العاشرة. القاهرة: دارالمعارف.
ـــــ (لاتا). الفن ومذاهبه فی الشعر العربی. الطبعة العاشرة. القاهرة: دار المعارف.
عید، رجاء. (۲۰۰۳م). لغة الشـــعر قراءة، فی الشـــعر العربی الحدیث. اسکندریة: منشأة المعارف جلال حزی.
الفاخوری، حنا. (۱۳۷۷ش). تاریخ الأدب العربی. طهران: توس.
الفیروزآبادی، محمد بن یعقوب. (لاتا). القاموس المحیط. لامک: دار إحیاء التراث العربی.
المعری، أبو العلاء. (۱۹۸۸م). لزوم ما لا یلزم. الطبعة الثانیة. لامک: دارالطلاس.
نهج البلاغة. (۱۳۷۷ش). ترجمة د.جعفر شـــهیدی. الطبعة الثانیة عشرة. طهران: شرکت انتشارات علمی وفرهنگی.
یاقوت الحموی. (۱۹۸۰م). معجم الأدباء. الطبعة الثالثة. بیروت: دارالفکر.
الیجوفـــی، نجوی والأنصاری، بدر. (۲۰۰۵م). «التفاؤل والتشـــاؤم، دراســـة ثقافیـــة مقارنة بین اللبنانیین والکویتین». مجلة العلوم الاجتماعیة. م۳۳. ع۲.
یوسف، نقولا. (لاتا). عبدالرحمن شکری، حیاته وآثاره. لامک: لانا.
seligman،m.c(1994)، what you can change &what you cant. New York:knopf